

Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

شخصية الأمير عبد القادر في الذاكرة الشعبية بين البطولة والأسطورة
(1883-1807)

The personality of Emir Abd al-Qadir in popular imagination between glory
and legend (1807-1883)

جمال حريشة Djamelharicha¹، علي طالبي Ali talibi²

جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، مخبر تاريخ الانسان والعمران والتراث في منطقة حوض الشلف

D.haricha@univ-chlef.dz

جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، مخبر تاريخ الانسان والعمران والتراث في منطقة حوض الشلف

A.Talibi@univ-chlef.dz

المؤلف المرسل : جمال حريشة djamel haricha الإيميل: haricha2017@gmail.com

تاريخ القبول : 2021-10-22

تاريخ الاستلام: 2021-10-14

الملخص:

تتميز شخصية الأمير عبد القادر بالتنوع، حيث تركت أثرها على المجتمع الجزائري وهذا ما جعلها محل استغراب وتعجب لدى عامة الناس، أصبح ينظر إليها كشخصية عجيبة لها من القدرات الخارقة والكرامات الحسية التي صنعت منه بطلا خارقا ووليا من أولياء الله الصالحين وهو ما جعلها شخصية مقدسة. وفي هذه الورقة البحثية سنتطرق إلى مفهوم المخيال الشعبي الجزائري ومميزاته وتشكل صورة الأمير عبد القادر الجزائري في الذاكرة الشعبية وما لحقها من فكر أسطوري، مستدلين في ذلك من كتابات وروايات محلية. الكلمات المفتاحية: المخيال الشعبي، الأمير عبد القادر، الذاكرة الشعبية، الأسطورة.

Abstract:

The personality of Emir Abdul Qadir is characterized by plurality and diversity, as it left its impact on Algerian society, and this is what made it surprising and surprising among the general public. .

In this research paper, we will address the concept of the Algerian popular imagination and its advantages, and the formation of the image of Emir Abdul Qadir Al-Jazaery in the popular memory and the legendary thought that followed it, drawing on this from local writings and novels.

Keywords: the popular imagination, Emir Abdul Qadir, popular memory, the legend.

مقدمة:

عُرفَ عن الأمير عبد القادر الجزائري بأنه رجل البطولة نظرا لتحمله أعباء الدولة والجهاد في سن مبكرة، وتمكن في فترة وجيزة من تأسيس دولة لها نظامها الإداري والعسكري، أنزلت الضربات الموجعة بالجيوش الفرنسية في أي زمان ومكان شاءت، وبذلك بقي اسمه ملازما للفروسية والشجاعة، وما إن ذكرت البطولة إلا وذكر معها الأمير عبد القادر الجزائري.

بالمقابل تتميز شخصية الأمير عبد القادر بأنها شخصية متعددة الجوانب ومختلفة الأبعاد، وقد تركت أثرها على المجتمع الجزائري، كونها جمعت بين الشخصية الدينية والأدبية والسياسية والعسكرية، وهذا ما جعلها محل استغراب وتعجب لدى عامة الناس.

لقد تحولت شخصية الأمير عبد القادر من كونها ظاهرة إنسانية إلى ظاهرة أسطورية، تشكلت في الذاكرة الشعبية الجزائرية من خلال ما نسجه الخيال الشعبي من خوارق وعجائب حولها.

لم يعد النظر إلى الأمير عبد القادر من منظور العامة كبطل قاوم الاستعمار الفرنسي أو كشاعر ملهم أو كنموذج

أخلاقي متصوف فحسب، وإنما أصبح ينظر إليه كشخصية عجيبة لها من القدرات الخارقة والكرامات الحسية المختلفة التي صنعت منه بطلا خارقا ووليا من أولياء الله الصالحين وهو ما جعلها شخصية مقدسة.

وهو ما دفعنا إلى التساؤل التالي:

كيف تشكلت شخصية الأمير عبد القادر في الذاكرة الشعبية بين الحقيقة البطولية والأسطورة؟

ومن أجل معالجة هذه الإشكالية تم تقسيم هذه الورقة البحثية إلى ثلاثة محاور كما يلي:

المحور الأول: مفهوم المخيال الشعبي ووظائفه.

المحور الثاني: عوامل التصاق الأسطورة بشخصية الأمير عبد القادر الجزائري.

المحور الثالث: صورة الأمير عبد القادر في الذاكرة الشعبية.

المحور الأول: مفهوم المخيال الشعبي ووظائفه

أولاً- مفهوم المخيال الشعبي الجزائري:

1- المخيال: نشأت مفردة "المخيال" كانت في الأنثروبولوجيا الفرنسية على يد عالم التحليل النفسي الفرنسي جاك لاكان، وهي تعني فعل التأويل لما يعيشه الإنسان في علاقته بذاته أو

- يعكس التطور التاريخي للمجتمعات احتكاكها وتفاعلها مع بعضها البعض وفي خضم هذا الاحتكاك والتفاعل تبرز بعض مكونات الميخايل التي تبدو للوهلة الأولى بلا معنى خصوصا أن هذه المعطيات مكونة في إطار اجتماعي يعرف تغيرات سريعة قد تخلق نوعا من المجابهات بين المعتقدات القديمة والجديدة⁶، فالحاكي لا يعبر عن حكاية ابتدعها من العدم إذ هي وليدة تكوينه الفكري والتاريخي والإعتقادي.

2- الوظيفة التثقيفية التربوية

- بما أن عملية التعلم تبدأ في الأسرة أين يتلقى الطفل أولى عناصر تكوينه ومن الإرث "عادة بوك لا يغلبوك" و"أقلب القدرة على فمها تخرج البنت تشبه أمها" وغير ذلك فالعائلة تغرس العادات يوم بعد يوم في الطفل الذي يقلد الإشارات التي يراها، ويستمتع للأقوال المأثورة والأمثال والحكايات، وبفضل العائلة عقلية الطفل تتمثل بلا وعي بعقلية الجماعة والتي يقتبس منها أفعاله مما يسمح له بالتكيف مع ذاته (استقرار نفسي) ومع الآخرين (اندماج اجتماعي).⁷

إذن فالميخايل ينشط بسبب الصدام بين المعلوم والمجهول فهو يوسع إدراك الفرد نحو المستقبل، ويدفع الفرد للتطلع على خبرات الآخرين وهذا ما يمنحه آليات الدفاع لتخطي الصعوبات، وبفضل عملية الضبط الاجتماعي التي تساعد الفرد على التكيف الاجتماعي بتفعيل السلوكات المستحبة ونبذ السلوكات غير المستحبة.⁸

- يعتبر الفرد اجتماعيا بطبعه، واجتماعيته هذه لا تتأتى إلا إذا تشبع بثقافة المجتمع الذي يعيش فيه حيث لا يصبح الفرد عضوا مندمجا في المجتمع إلا إذا اكتسب ثقافة مجتمعه عن طريقة التنشئة الثقافية الخاصة.⁹

3- الوظيفة العلاجية

يؤدي الميخايل دورا هاما في التعبير عن الجوانب غير السوية والمرضية في المجتمع، فهو بهذا يعمل على خلق التوازن الاجتماعي، فالميخايل الاجتماعي بجميع مكوناته الدينية والأسطورية يلعب في التصور الشعبي دور الحامي والمعالج للأخطار التي يمكن أن يصادفها الإنسان في حياته.¹⁰

ثالثا- مصطلحات متعلقة بالميخايل الشعبي

تتداخل مع الميخايل الشعبي مجموعة من المصطلحات والألفاظ وفي مايلي بيان ذلك:

لما يعيشه في علاقته بالآخر بشكل أوضح، الميخايل عبارة عن مخزن من الصور والتمثيلات والرموز والحكايات والأساطير التي تشكلت تاريخيا في الذاكرة الجماعية أو في الذهن كنتيجة لعملية التأويل التي تحاول بها جماعة ما رسم واقعها الداخلي أو واقعها مع الآخر.

2- الميخايل الاجتماعي:

يعتبر مفهوم الميخايل من المفاهيم التي يصعب تحديد معناها بسهولة، فالميخايل الاجتماعي هو الجانب اللامرئي في حياة الأفراد ويتشكل من مجموعة من العناصر كالرموز والصور ويظهر من خلال أجزائه كالإيدولوجيا والأسطورة والحكاية وينقسم الميخايل الاجتماعي إلى ثلاثة أنواع وهي الميخايل¹ التمثيلي حيث ينسخ الفرد كل ما شاهده من الواقع عاينه وأحسه، والميخايل المبدع حيث يتم الانتقال من مجال الذاكرة الحافظة إلى الذاكرة المبدعة بواسطة قوة تصرف في الصور بالتركيب والزيادة والنقصان²، والميخايل الوهمي ويستمد عناصره من خلال نسج الرؤى والأحلام نسجا خياليا لا صلة له بالوجود الحقيقي، فالمنتخيل الجماعي يولد لدى الأفراد أوهاما واستهجمات تساهم في تحفيزهم وتفقدتهم التحكم الكلي في وعيهم وتجعلهم ينخرطون بحماسة في الاستهيام الجماعي.³

نستنتج أن الميخايل الاجتماعي هو الجانب اللامرئي في حياة الأفراد تعمل التنشئة الاجتماعية على ترسيخه في أذهانهم بواسطة عدة وسائل ومؤسسات أهمها الأسرة التي تستخدم بدورها الحكاية لترسيخ قيم ومبادئ وتصورات المجتمع.⁴

ثانيا- وظائف الميخايل الشعبي

تتعدد وظائف الميخايل بتعدد مواضيع القصة، وتتداخل وظائفه الاجتماعية حتى وإن بدت متباينة، ونوجزها فيما يلي:

1- الوظيفة الترفيهية التعبيرية

- يتميز الميخايل الاجتماعي بالسرورية والديناميكية تتفاعل أجزائه لتنتج خطابات اجتماعية غير مقننة وغير محكمة البناء وتختلف عن الواقع المادي الملموس ولذا فهي تقوم بدور المنفس الاجتماعي الذي يقلل من حدة ضغوطات الواقع كاستخدام التراث الذي يعمل على ترسيخ القيم والمعايير وثوابت المجتمع وهذا بفضل عملية التنشئة الاجتماعية وهنا يبرز دور الجدات وكبار السن حاملتي التراث⁵، ورغم ما تحمله الحكايات المرحلة أو الفكاهية من ضحك غير أنها تحمل عبرا وأحكاما تساعد على تحقيق المجتمع السليم.

1- المخيال الشعبي والأسطورة

- يعرف دافيد كرتشي وريتشارد كرتشفيد الأسطورة أنها كل ما نعتبره معتقدات خرافية وهي كل المعتقدات التي برهنت على أنها على خلاف مع الحقائق الموضوعية والتي يحتمل أن يشارك في الاعتقاد بها عدد كبير من أبناء المجتمع وتتضمن قضايا تصف ظواهر فوق الطبيعة مثل القضاء والحظ والشيطان،¹¹ وعليه فالأسطورة هي كلما يتناقى وما يؤمن به العقل، وكل ما يتعلق بجوانب ما وراء الطبيعة أو الميتافيزيقا، شريطة أن يتبناها معظم أفراد المجتمع، ولذلك فالأسطورة عند جيمس دريفر James Driffer هي عقيدة أو نسق من العقائد قائمة على أساس صلة خيالية بين الأحداث غير قابلة للتبرير على أساس عقلي، وهي مجموعة من العقائد والمؤثرات والقوى التي يقبل وجودها دون نقد¹².

- فالأسطورة ترتبط بالعقيدة الدينية وتعبّر عن مشاعر المجتمع ومحاولة للإجابة عن الظواهر الصعبة أين يميل المجتمع لطرق التفكير المظلمة والمعقدة، والمخيال يتدخل لربط الأحداث وما لا يؤمن به العقل وهذا قصد خلق التوازن النفسي والاجتماعي للأفراد.

- تعد الأسطورة مرجعية من مرجعيات عديدة للمخيال الشعبي.

2- المخيال الشعبي والذاكرة الشعبية

تعتبر الذاكرة الشعبية أو الذاكرة الفولكلورية هو مصطلح تعبيري يُستخدم لوصف القصص والفولكلور أو الأساطير حول الأحداث الماضية التي تم نقلها شفويًا عن طريق التلقين من جيل إلى جيل، ومنها أحداث تعود إلى مئات أو آلاف أو حتى عشرات الآلاف من السنين، وغالبًا ما تكون ذات أهمية محلية، ويكمن تفسير الخصائص الفيزيائية للذاكرة الشعبية في البيئة المحلية، وتوفير أسباب التقاليد الثقافية أو إعطاء علم أصول الكلام عن أسماء الأماكن المحلية، فالمخيال جزء لا يتجزأ من الذاكرة الشعبية.

المحور الثاني: عوامل التصاق الأسطورة بشخصية

الأمير عبد القادر الجزائري

ليس من شك في أن عدة عوامل مختلفة قد اجتمعت لتضفي على الأمير عبد القادر الجزائري سمة الشخصية الأسطورية ومنها:

أولاً- العامل الحربي البطولي للأمير عبد القادر الجزائري

كان الأمير عبد القادر إلى جنب والده الشيخ محي الدين في الهجومات التي شنها على الجيش الفرنسي بمدينة وهران وقد استطاع الشيخ محي الدين أن يُزعزع العدو ويرعبه وهنا برز ابنه "عبد القادر"، الذي أظهر في المعارك التي شارك فيها مع والده شجاعته وبطولته أهرت الجميع.

معارك الأمير تحت راية والده محي الدين الشريف معركة خنق النطاح الأولى من 7 إلى 17 أفريل 1832، وقد شارك الأمير كمقاتل عادي فكان متحمسا أكثر تحت قيادة أبيه كما شارك في معركة رأس العين وسانت اونديري من 3 إلى 5 ماي 1832، وأظهر قوة خارقة في المعركة ليشترك في معركة النطاح الثانية من منتصف جوان حتى نهاية أوت 1832 وكان قائدها فأظهر شجاعة فائقة وحكمة عالية ثم شارك في معركة وهران مزگران من 19 سبتمبر حتى 23 أكتوبر 1832 تحت إمرة أبيه ثم شارك في معركة سيدي شبال 10 نوفمبر 1832، ويمكن القول انه من هذه المعارك استنتج الأمير ان محاربة فرنسا وهزيمتها لا يكون الا بجيش منظم ومدرب ودولة ذات أركان وأسس قوية.

وفي هذا الصدد يقول شارل هنري تشرشل: "... لقد آمن عبد القادر إيمانا عميقا بضرورة الاتحاد المطلق بين مواطنيه لكي يحقق لهم استقلالهم المشترك، لقد قرر أن يقارع بسيفه الذين يشكون أو يحاولون أن يقاوموا سلطته..."¹³.

ومن أهم معارك الأمير بعد مبايعته:

- معركة المقطع 18: جوان 1833، أرزيو، ضد تريزيل.
- مستغانم: 27 جويلية 1833، مستغانم، ضد دي ميشال.
- التافنة: 25 جانفي 1836، تلمسان، ضد كلوزيل.
- السكاك: 6 جويلية 1836، تلمسان، ضد بيجو.
- غابة كرازة: 27 أفريل 1840، العفرون، ضد فالي.
- موزاية: 12 ماي 1840، البليدة، ضد فالي.
- معركة الزمالة 16: ماي 1843، جبال عمور، ضد دومال.
- جبل كركور: 23 سبتمبر 1845، جبال عمور، ضد مونتنيك.
- وادي مرسى: 26 سبتمبر 1845، جبال عمور، ضد جيرو.

لقد كان للأمير عبد القادر مع الاستعمار الفرنسي معارك شتى بين تلمسان وحدود المغرب، ومن أشهرها معركة سيدي إبراهيم التي قتل فيها الكولونيل "مونتانيك" (Lieutenant-Colonel Lucien de Montagnac) فازدادت مكانته في نفوس العامة بهذه المنطقة سموا وجلالا، وبمرور الزمن تكونت

ثالثا- العامل الإنساني في شخصية الأمير عبد القادر الجزائري: نوجز بعض المواقف التي أظهرت الطابع الإنساني في شخصية الأمير عبد القادر:

اعتبر الأمير عبد القادر، وهو المحارب والمقاوم للاستعمار الفرنسي، أن كل جندي فرنسي يتم أسره يعتبر أسير حرب لا يسمح بإهانته، كما حرم تحريما قاطعا قتل الأسير وهو مجرد من السلاح، وكان دائما يدعو جنوده إلى معاملة الأسير الفرنسي أو الأوربي معاملة حسنة، وكان يسهر شخصيا على معالجة الجرحى والمرضى من الأسرى. وفي حال شكوى الأسير من سوء المعاملة، تسقط المكافئة المالية التي كانت تعطى لمن يقدم أسيرا وتتبعها عقوبات أخرى، وهي وإن كانت مبادئ أساسية في الدين الإسلامي إلا أن الأمير عبد القادر يجسدها تجسيدا كاملا وفعليا، وهذا ما جعل فيما بعد أعدادا من الأسرى الفرنسيين القدامى، الذين تلقوا علاجاً من قبل الأمير، يأتون من مناطق نائية إلى قصر "بو" وقصر "أمبواز" حيث كان الأمير معتقلا، لتحية من كان المنتصر بالأمس.

ففي سنة 1960 دافع عن مسيحي الشام وحماهم وقصد آنذاك الجنرال بوفور دوتبول Beaufort d'Hatpoul قائد الحملة الفرنسية، ليجتمع به ويطلب مساعدته في حل المشكلة¹⁸، وقد كانت له طريقة خاصة في معاملة الأسرى فكانت خير مثال لإنسانيته، إذ كانوا موضع اعتناء واهتمام كبيرين، وكانت زوجته تسهر على راحة الأسيرات وتقدم لهن المأكّل والمشرب¹⁹.

عندما كان الأمير عبد القادر في فرنسا وأثناء سجنه في أمبواز ألف رسالة سماها "المقراض الحاد لقطع الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد" وكان سبب تأليفه لهذه الرسالة أن أحد القساوسة المسيحيين قال: "إن الغدروعدم الوفاء به غير قبيح... إلى آخره".

وقد دهش الأسقف عندما قرأ هذه الرسالة فقال: "...إني أعجب من هذا الرجل بالرغم من الحالة التي هو عليها فأعانه لم يفرط في دينه ولم يترك أي وسيلة للدفاع عنه...". وكان لهذا القسيس لقاء مع الأمير وبمجرد أن خرج من عنده عقد اجتماعا في كنيسه مع القسيسين الآخرين وكانوا في انتظاره ليطلعهم ما دار بينه وبين الأمير فقال لهم: "...أحمد المسيح أني نجوت ولو بقيت مع الأمير ولو مدة وجيزة أخرى لجعل مني مسلما يدافع عن الإسلام ويعادي النصرانية....

لأمير في مخيلة الناس صورة ذلك البطل الذي يأتي الخوارق¹⁴.

ثانيا- العامل الديني في شخصية الأمير عبد القادر الجزائري:

جمع الأمير عبد القادر بين الدهاء العربي والشجاعة الحربية والطموح، ولكنه كان يتسم بالحلم والعدل على قدر ما تسمح به مواقفه وتطلعاته، وهو يعيش من الوجهة الدينية حياة ورعة، متمسكا بالعادات والشرائع الظاهرية ويؤكد سلوكه في كل مناسبة مدى تسامحه وخلوه التام من الأحكام المسبقة على من يخالفه في الرأي، وهو متمكن من الكتابة العربية واللغة العربية، ومتمكن من الأدب العربي، ويخصص أوقات راحته للقراءة للأدباء والشعراء العرب، ويعرف تاريخ الخلفاء، وكان يشعر في نفسه، على ما يظهر، القدرة على أن يعيد الهلال ما كان له من غلبة وعظمة، ويتمسك في أسلوب حياته بالعادات المتبعة، بل هو يعيش أكثر بساطة وتواضعا من معيشة معظم العرب لا يرتدي أبدا ألبسة مذهبة أو مفضضة، إلا فوق أسلحته وجياده¹⁵.

وللمرة الثانية يعجب بكون الأمير ليس له سوى امرأة واحدة، ولم يكن هناك في الواقع ما يشغل قلبه غير حبه للمجد وتطلعه للأعمال البطولية، يضاف إلى ذلك حلمه ولطفه، ولذلك لم يكن من المستغرب أن يحبه شعبه ويحترمه أعداؤه من المسلمين والمسيحيين على حد سواء¹⁶.

وليس من الغرابة أن يكون الأمير عبد القادر المتعلق بالطريقة القادرية قد أمضى شطرا من حياته في العبادة والزهد في زاوية القيطنة وأنهى أيامه بأعمال إنسانية وفقا لمبادئ الدين والشريعة الإسلامية حتى وفي أصعب الظروف وأحرجها، لقد كان عميق الإيمان بالله وبالدين وشديد التمسك بالأخلاق والمبادئ الإنسانية.

وكان من ورعه وتعففه أنه كان لا يدخل بطنه ولا بيته شيء من متاع بيت المال قل أو جل ومن زهده أن الهدية التي يخص بها فلا يعبأ بها وإنما يصرفها في مصارفها ببيت المال، ومن ورعه أنه لا يأكل ولا يشرب ولا يلبس إلا ما خلص من الشبه.

لقد اكتسب الأمير صورة الرجل المقدس حيث كانت ترى فيه القبائل التي تناصره الشخص الذي يخلصهم من النصراري أو كما قال الألماني يوهان "... كانوا ينتظرون من رجل الساعة الذي كان عليه أن يخلصهم من دناءة المسيحيين..."¹⁷.

القراءة والكتابة وهو في سن الخامسة ونال الإجازة في تفسير القرآن والحديث النبوي وهو صاحب 12 سنة كما أنهال على العلوم المختلفة من تاريخ وفلسفة ورياضيات وفلك وطب في أم عسكر وخارجها، كما ألتقى بعلماء كثر ساهموا في تقوية شخصيته وزاده المعرفي كأحمد بن خوجة وأحمد بن الطاهر البيطوي ولتحمل المسؤولية زوجه أبوه وهو صاحب 15 سنة من ابنة عمه لالة خيرة خلقا وأخلاقا لتكتمل شخصيته، وفي سن 18 عشر سافر مع والده إلى الحج ليزور أثناءها مناطق الوطن العربي ويتعرف على حياة الترحال وظروفها الصعبة، وقد جمع الأمير الشاب بين العلم الشرعي والعقيدة.

ظهرت ملامح شخصيته الحربية منذ نعومة أظافره فتعلم الفروسية وركوب الخيل والمبارزة والتي تفوق بها وبرع ونظير ما تميز به من صفات وأخلاق حسنة وتعدد للمهام من فيلسوف وشاعر وأديب ومجاهد، تمت مبايعته تحت شجرة الدرداء وعمره 24 سنة ولقب بناصر الدين بحضور العلماء والأعيان ووجهاء القوم.

إن الأمير عبد القادر كان شخصا مربوع القامة قويا مفتول العضلات أبيض البشرة عريض الجبين أهدابه سوداء ودقيقة على عيني زرقاوتين تشعان بالأمل، ألقى الأنف رقيق الشفتين، أسود الشعر كثيف اللحية السوداء متوسطة الطول، يضع على رأسه عمامة بيضاء ويرتدي القشابية ويلبس برونوس من وبر البعير، نظراته كلها شجاعة ورجولة وتواضع.

ثانيا- عظمة وخوارق الأمير عبد القادر بين الحقيقة والخيال تحدث الكثير عن شخصية الأمير بكونه شخصية مرموقة ونموذج رائد ورجل حدادة ونهضة إلى شخصية متشعبة بالقدرات الخارقة والكرامات الحسية والقصص المثيرة من خلال الذاكرة الشعبية للجزائر أو ما نتج من نسج الخيال الشعبي.

1- ما علق بشكله الخارجي من أساطير

- نظره: جاء في كتاب الأمير عبد القادر للألماني برهان كارل بيرنت ما يلي: "ساحر ينظره يخافه الأعداء، بمجرد مروره بوسط المعركة.."

2- رعاية الأرواح غير المرئية له:

"، ثم أردف وقال: "إن وجود الأمير بين ظهرانينا خطر عظيم ويجب علينا جميعا أن نهزم جميع إمكاناتنا لكي يسمح له بالخروج من فرنسا وإن كبرت الحكومة وأصرت على أن تبقى بمنفاه فسيحل بنا ما حل بالأراضي الإسبانية يوم افتتحها العرب وعمرها فيها ثمانية قرون بأكملها، لو بقي الأمير هنا لأصبحت باريس وجميع القرى الفرنسية مواطن تقام فيها المساجد لا البيع التي تقوم اليوم وسمعنا فيها القرآن يفسر في جامعاتنا لا الكتاب المقدس كما يجري اليوم..."²⁰.

وهي نظرة لما قام به الأمير من انجاز فكرة التعايش بين الإسلام والمسيحية من خلال الأعمال الإرشادية المشتركة وزرع الإحساس بالأمان.

رابعاً- عامل التقديس للشخصيات التاريخية:

اكتسب الأمير صورة الرجل المقدس بين أهله والقبائل التي تحاربه ويظهر ذلك جليا في عديد المذكرات التي كتبت حوله، حيث لم يكن ينادى إلا بـ "مولانا" أو "سيدنا" ومثل هذه الكلمات التي وصفت الأمير بالبطولة كثيرة في جل الكتابات حوله.

وقد كان لهيئة الأمير وأوصافه الخارجية لمن كتبوا عنه ورسوموا صورته مصدر الهام ومنبع خيال شارد ظهر الأمير فيه بمظهر الأمير فيه بمظهر الفارس القديس، حيث يقول بول أزان الذي أרך لمعركة سيدي إبراهيم على لسان أحد شخصيات كتابه الذين شاهدوا الأمير "... فللأمير نظرات ساحرة مذهلة، وله صوت كصوت الأنبياء..."²¹.

تميز عبد القادر بدهاء وشجاعة وثقافة واسعة، إلى جانب أسلوب حياته وطريقة معيشته البسيطة في المأكل والملبس، كلها صفات جعلت منه في نظر الناس أميرا عظيما.²²

المحور الثالث: صورة الأمير عبد القادر في الذاكرة

الشعبية

أولاً- شخصية الأمير عبد القادر بين الحقيقة والخيال

إن السعي لتحرير الوطن من المستعمر الفرنسي هي عنوان حياة الإنسان المقاوم للاستعمار ومسيرته ونضاله تكون ملهمة للأجيال المتعاقبة محل حديث الخاص والعام نظير ما قدموه من تضحيات جمة في تحرير الوطن والفرد، ومن هؤلاء شخصية الأمير عبد القادر الذي كان مصاحبا لوالده محي الدين الشريف أين رحل وارتحل كغيره من أبناء الوطن حفظ القرآن الكريم على يد والده، وتلقى تعليمه بالزاوية وأجاد

في الذاكرة وانطلاقة لشخصية تاريخية أسطورية ستكون يوما ما كبوسا لفرنسا.²⁶

- تشبيهه بالصحابة والخلفاء: حيث يرى الناس ان للأمير عبد القادر تكوين نظري وتطبيقي جعله يرتقي الى مصاف العظماء والخلفاء الراشدين، وله مخزون تكتيكي حربي مثل الصحابي خالد بن الوليد رضي الله عنه، وغيره من قادة الجيش الاسلامي، كما له قدرة خارقة في المفاوضات السياسية كونه يتميز بالدهاء مثل عمرو بن العاص، وقام بتسيير شؤون الدولة وامتاز بالعدل والحكم كالخليفة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه.²⁷

- جاء في ذكر أساطير الأمير عبد القادر الجزائري للدكتور محمد طيبي أنه كان حاضرا عند الجزائريين فهو حسبهم شخصية أسطورية خارقة للعادة استمدت الحب والاحترام من القيم الانسانية التي تحلى بها طول مساره البطولي فخرج عن المعتاد في التاريخ السياسي جامع بين المقاصد الحضارية والريانية.²⁸

خاتمة:

بما أن التاريخ أحداث ووقائع مضت خاضعة للتفسير والتأويل، فإن الأحداث التاريخية قد تتحول لأساطير شعبية، فالتاريخ مصنوع من الأبطال أمثال عبد القادر الجزائري بطل المقاومة الشعبية المسلحة الذي خلده التاريخ وصنعت منهم الذاكرة الشعبية نماذج رائدة للبطولة الخارقة تتجاوز حدود البشر، فعامة الناس رأوا أن الأمير عبد القادر كان يرهب ويرعب الخصوم بغيونه ويقفز من قمم الجبال فيترك اثر جواده على الصخور ويختفي كالمساحر من أمام أعداءه.

وفي المقابل فالحديث عن الأمير عبد القادر الجزائري يؤدي بنا الى التعريف بمشروع متكامل المعالم من أمير جهاد ضد العدو الفرنسي الى أمير مفكر عبر صورته العالمية جعل منه رجل عصره ساهم في بناء نهضة عربية حديثه تتعدى ان تكون وطنيه الى قومية إسلامية كما ان رؤيته الحدودية تتجاوز الإقليمية، فقد تمكن من تأسيس حكم شرعي ودولة حديثة حريصا فيها على فرنسا ان تتعامل مع هوية سياسية وسيادية وشرعية عكست إيجابا على شخصيته البطولية الحقيقية التي أكسبت الكثير من الأهالي المحبة له فراحوا يبدعون في شخصه ويستلهمون القصص والحكايات من المخيلة الشعبية كغيره من النماذج الرائدة وفشلت فرنسا في النزعة الأميرية كي لا يبقى في الذاكرة الشعبية بفضل المخيال الذي

- شجاعته: قالوا فيه: ".. انه لا يعرف الهزيمة ولا الخوف، فهو بطل يخوض الحروب، مرهوب الجانب، يتمتع بالقوة الإلهية..".

3- ما علق بأفعاله من أساطير

- فيما ذكر في حادثة محاولة اغتياله: حيث كلف ملك المغرب احد خدامه باغتيال الأمير ومنذ فشل هذه الحادثة والأمير يتساءل عن القوة التي منعت العبد من أن يذفن في ظهره سيفه بينما كان هو منكفئا في قراءة القرآن، ينحني العبد الغادر بعد فشله في محاولته البائسة عند رجلي الأمير طالبا الصفح عنه: ... يا أمير المؤمنين لقد كلفت بقتلك وما أنا ذا افشل في رفع سيفي ولا أدري لماذا مع أنني كنت لوحدي كما ترى؟ عندما هممت بفعل ذلك رأيت هالة من النور، غمرتني ولم اعد أرى شيئا أبدا فقط هذه علامة من علامات الله...".

- يعتقد الناس أنه في منطقة جباله أن الأمير قفز به حصانه من قمة جبل طوماي إلى أسفله وهو يطارد أعداءه فترك حافر فرسه أثرا على صخرة مازال باقيا إلى الآن، يراه الناس وهم في قمة الدهشة والعجب والتصديق.

- يرسخ في الذاكرة الشعبية انه لما أعد الأمير عبد القادر الجزائري جيشا مغوارا في ساحات الميادين لتحقيق انتصارات متتالية على الفرنسيين، كما سعى في نفس الوقت الى فض النزاعات بين القبائل المتخاصمة والعمل على تصالحها، كما ان بطولاته اثناء المعارك كانت محل اعجاب فمعركة خنق النطاح أصاب الرصاص ملابسه كلها وقتل فرسه ومع ذلك استمر في القتال حتى انتصر.²³

- إن شجاعة الأمير وقوته أعطت له قدرة خارقة وبطولة نادرة، فقد قاتل أعداءه ببسالة وأسال دماهم فارتفعت عن الأرض حتى بلغت صدر جواده فكونت من دماهم انهارا ووديانا تجري ورؤوسا تتطاير.²⁴

4- كفاءته العسكرية: للأمير عبد القادر الجزائري في منظور العامة كفاءة عسكرية بشهادة أعداءه امثال المارشال دي كاستلان، حيث أكدوا على تكامل شخصيته في التفكير والتنفيذ وله من قوة الصبر، والتجلد طاقة لحدود لها، ولا يملكها الانسان العادي، فان قوته معجزة الهية.²⁵

- تقديس الناس للشجرة التي بوع تحت الحاج عبد القادر بالإمارة واعتبرت شجرة جديرة بالاحترام والتقدير، فهي مازالت راسخة في أذهان الناس لما تحمله من تاريخ مليء

- ZerdoumiNafissa: Enfantsd'hier, l'éducation de l'enfant au milieu traditionnelalgérien, Francois Maspero, Paris, 1982.

• المقالات:

- أوشاطر مصطفى: أسطورة الأمير عبد القادر في الميخيل الشعبي، مجلة بحوث سيميائية، جامعة تلمسان، الجزائر، المجلد 08، العدد 01. جوان 2019، ص ص 259-269
- العربي محمد: أسطورة الأمير عبد القادر في الرسم وفي الشعر الشعبي، مجلة الواحات للبحوث والدراسة، جامعة غرداية، الجزائر، المجلد 13، العدد 02، ديسمبر 2018، ص ص 53-65

• المقالات بالفرنسية:

- Assaraf Albert : «Du lien aux origines des structures anthropologique de l'imaginaire» IN : Société, N° 63. 1999
- RadolpheChristin : « Transcendentalisme anthropologique et immanentisme sociologique : une question d'epistimologie » IN : Sociétés, N° 63. 1999

• الاطروحات:

- نذير بوجلة، روح التجديد والتقليد في شعر الامير عبد القادر ، رسالة ماجستير في الأدب الجزائري، قسم اللغة العربية وادابها، جامعة الجزائر (بن يوسف بن خدة)، 2008/2007.

• مواقع الانترنت:

- عبد السلام بارودي، الامير عبد القادر خلده التاريخ رمزا للانسانية ، <https://www.maghrebvoices.com/algeria/2020/05/26> ، تاريخ التصفح 2021/08/29، على الساعة : 18.21.
- وسيم عفيفي عبد القادر، الامير عبد القادر الجزائري خاض اربعون معركة ونال اعجاب الفرنسيين، <http://www.toraseyat.com/2016/08/28> ، تاريخ التصفح 2021/08/28، على الساعة : 14.51.

الهوامش:

⁵ فوزي الفتيل: الفلكلور ماهو؟، مكتبة الادب الشعبي، دار المعارف، مصر، د.ت.، ص15

⁶ BouhdibaAbdelwahab: Culture etsociété, publications de l'université de Tunis, Tunis. 1978, p51

⁷ ZerdoumiNafissa: Enfantsd'hier, l'éducation de l'enfant au milieu traditionnelalgérien, Francois Maspero, Paris, 1982, p173

⁸ محمد السويدي، مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته، المؤسسة الوطنية للكتابالجزائر. 1991، ص 50

⁹ محمد السويدي، المرجع نفسه، ص 51

¹⁰ BouhdibaAbdelwahab , op.cite, p51

غرس معنى الحب والتمسك بالأبطال لتاريخ يبقى حيا وتداوله الأجيال المتعاقبة.

• قائمة المراجع:

• الكتب:

- برونواتيان: عبد القادر الجزائري، تر:خوري ميشال، ط2 ، دار الفارابي، ANEP، الجزائر 2001
- بيرنت يوهان كارل: الأمير عبد القادر، تر: أبو العيد دودو، دار هومة، ط2 ، الجزائر 2012
- تشرشل شارل هنري: حياة الأمير عبد القادر، تر وتق وتع: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974
- الجزائري القاضي مسعود مجاهد: تاريخ الجزائر، ج2، مطابع دار الأيتام الإسلامية، فلسطين.د.ت
- حرب أديب: التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري (1808-1847)، دار الرائد للكتاب، ط3، الجزائر، 2005
- سبيلا محمد: الايدولوجيا نحو نظرة تكاملية، المركز الثقافي العربي، لبنان. 1992
- السويدي محمد: مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته، المؤسسة الوطنية للكتابالجزائر. 1991
- عيسوي عبد الرحمان: سيكولوجية الخرافة والتفكير العلمي، دراسة ميدانية مقارنة على الشباب المصري والعربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، مصر، 1984.
- الفتيل فوزي: الفلكلور ماهو؟، مكتبة الادب الشعبي، دار المعارف، مصر، د.ت.

• الكتب بالفرنسية:

- BouhdibaAbdelwahab: Culture etsociété, publications de l'université de Tunis, Tunis. 1978
- Durand Gilbert :L'imaginairesymbolique, p.u.f, Paris. 1976
- Paul azan ,Sidibrahim, Horizon de France , Paris . 1945

¹ Durand Gilbert :L'imaginairesymbolique, p.u.f, Paris. 1976, p07

² Assaraf Albert : «Du lien aux origines des structures anthropologique de l'imaginaire» IN : Société, N° 63. 1999, p08

³ سبيلا محمد: الايدولوجيا نحو نظرة تكاملية، المركز الثقافي العربي، لبنان. 1992، ص 112

⁴ RadolpheChristin : « Transcendentalisme anthropologique et immanentisme sociologique : une question d'epistimologie » IN : Sociétés, N° 63. 1999, p07

- ¹¹عبد الرحمان عيسوي، سيكولوجية الخرافة والتفكير العلمي، دراسة ميدانية مقارنة على الشباب المصري والعربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، مصر، 1984، ص 15
- ¹²عبد الرحمان عيسوي، المرجع نفسه، ص 16
- ¹³شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر و تق وتغ: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974، ص 34.
- ¹⁴مصطفى أوشاطر، أسطورة الأمير عبد القادر في المخيال الشعبي، مجلة بحوث سيميائية، جامعة تلمسان، الجزائر، المجلد 08، العدد 01. جوان 2019، ص 267
- ¹⁵يوهان كارل بيرنت، الأمير عبد القادر الجزائري، تر-تق: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص 73
- ¹⁶يوهان كارل بيرنت، المصدر السابق، ص 74
- ¹⁷Generale Paul azan ,Sidibrahim, Horizon de France , Paris . 1945,p132
- ¹⁸أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري (1808-1847)، دار الرائد للكتاب، ط3، الجزائر، 2005، ص 12
- ¹⁹أديب حرب، مرجع نفسه، ص 13
- ²⁰القاضي مسعود مجاهد الجزائيتاريخ الجزائر، ج2، مطابع دار الأيتام الإسلامية، فلسطين.د.ت، ص 381
- ²¹Generale Paul azan , op.cit,p141
- ²²برونو، إتيان، عبد القادر الجزائري.تر:خوري ميشال، ط2، دار الفارابي، ANEP، الجزائر 2001، ص 22
- ²³وسيم عفيفي عبد القادر، الأمير عبد القادر الجزائري خاض أربعون معركة ونال إعجاب الفرنسيين، <http://www.toraseyat.com/2016/08/28>، تاريخ التصفح: 2021/08/12، على الساعة 14.51.
- ²⁴محمد العربي، أسطورة الأمير عبد القادر في الرسم وفي الشعر الشعبي، مجلة الواحات للبحوث والدراسة، جامعة غرداية، الجزائر، المجلد 13، العدد 02، ديسمبر 2018، ص 62
- ²⁵نذير بوجلة، روح التجديد والتقليد في شعر الأمير عبد القادر، رسالة ماجستير في الأدب الجزائري، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر (بن يوسف بن خدة)، 2007/2008، ص 06
- ²⁶محمد العربي، المرجع السابق، ص 63
- ²⁷نذير بوجلة، المرجع السابق، ص 08
- ²⁸عبد السلام بارودي، الأمير عبد القادر خلده التاريخ رمزا للإنسانية، <https://www.maghrebvoices.com/algeria/2020/05/26>، تاريخ التصفح 2021/08/17، على الساعة 18.21.